المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعودالإسلامية

الإسلامية

الابتلاء وأثره في حياة المسلم

إيمان النجدي

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد :

هذا بحث عن موضوع (الابتلاء وأثره في حياة المسلم) أحببت المشاركة فيه رغم علمي المتأخر عن تلك المسابقة.

إن ابتلاء الله لنا نعمة وإن كان في ظاهره نقمة ، فإن عَلِمنا وأيْقنّا أنه مكتوب علينا لا مفر لنا من وقوعه هان علينا الأمر وآثرنا من الله الأجر والعاقبة الحسنة ، فليس فينا من يملك رفض الابتلاء إنما هناك من يتبين ثبات موقفه عند مواجهته بالصبر والاحتساب ، ومن يجزع ويعترض ، ورحم الله الفضيل بن عياض حين قال : " الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه " .

منهجي في البحث :

١. بذلت الجهد في جمع عناصر منوعة ومتفرقة تعتبر من أهم مايتعلق بموضوع الابتلاء .
٢. وضحت حكمة الله ﷻ وعدله وعلمه بما قدر من خير وشر ؛ليرضى المسلم بما كتب الله له.
٣. ذكرت فوائد علمية تبين حكمة الله في ابتلاء الخلق ابتلاءات مختلفة، وأخرى في بيان حقيقة الوجود، مدعمة ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة.
٤. ذكرت كل حديث بتخريجه الوارد حسب المرجع الذي رجعت إليه .

خطتي في البحث:

يحتوي البحث على مقدمة ذكرت فيها سبب عمل البحث ومنهجيته، كما قسمته إلى خمسة مباحث : المبحث الأول وفيه : تعريفات:الابتلاء، الفتنة، المصيبة ، الفرق بين الابتلاء والمصيبة وبين البلاء والابتلاء.

المبحث الثاني : الابتلاء سنة كونية ، الحكمة من الوجود، تحقيق سنة الابتلاء، الطريق إلى الجنة محفوف بالمكاره.

المبحث الثالث: : أنواع الابتلاء، الناس حين نزول البلاء، أعظم الأسباب في دفع البلاء.

المبحث الرابع : اختلاف الابتلاءات بين العباد وتنزه الله عن الظلم ، ابتلاء الأطفال بالمكاره والآلام.

المبحث الخامس :آثار الابتلاء في حياة المسلم،،كيف تواجه الابتلاء.

أسأل الله التوفيق والسداد وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

تعريفات

أولاً : تعريف الابتلاء

الابتلاء لغة: هو الامتحان و التمحيص و الاختبار [١].

قال إسماعيل بن حماد الجوهري: بلوته بلواً : جربته واختبرته ،والبلاء : الاختبار ويكون بالخير والشر ، يقال : أبلاه الله بلاءاً حسناً وأبليته معروفاً.

وقال ابن منظور : بلوت الرجل بلواً وبلاء وابتليته : اختبرته وبلاه يبلوه بلواً إذا جربه واختبره ، وابتلاه الله: امتحنه ، والبلاء يكون في الخير والشر، يقال: ابتليته بلاءاً حسناً وبلاءاً سيئاً ، والله تعالى يبلي العبد بلاءاً حسناً ويبليه بلاءاً سيئاً والجمع البلايا [٢].

وشرعاً: ما يصيب الإنسان من أذى في ماله، أو نفسه، أو عرضه في الحياة التي يعيشها ، والابتلاء هو المظهر العملي لعلاقة العبودية بين الله ﷻ والعبد، وهذه الحياة التي نعيشها هي الزمن المقرر لهذا الابتلاء قال الله ﷻ : ﴿ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَناً ﴾ (الأنفال: ١٧) .

والبلاء الحسن هو: النعمة بالظفر، والغنيمة، وليس من الابتلاء الذي هو الامتحان بالمكروه، فمعنى أبلاه أنعم عليه، وابتلاه قد يكون بالخير وقد يكون بالشر وغالباً ما يكون بالمكاره [٣].

ثانياً : تعريف الفتنة[٤]

الفتنة : الامتحان والاختبار ، تقول : فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ماجودته ، جماع معنى الفتنة : الابتلاء والامتحان والاختبار ، وأصلها مأخوذ من قولك : فتنت الفضة والذهب إذا أذبتها بالنار لتميز الرديء من الجيد.

ثالثاً : تعريف المصيبة [٥]

المصيبة: كل ما يؤذي المؤمن ويصيبه، يقال: أصابه إصابة ومصابة ومصاباً، والمصيبة واحدة المصائب، والمصيبة: النكبة ينكبها الإنسان وإن صغرت، وتستعمل في الشر، روى عكرمة: أن مصباح رسول الله صلى الله عليه وسلم انطفأ ذات ليلة فقال: "إنا لله وإنا إليه راجعون، فقيل: أمصيبة هي يا رسول الله؟ قال: نعم. كل ما آذى المؤمن فهو مصيبة".

---

(١) موقع الرقية الشرعية على منهج أهل السنة والجماعة تحت إشراف أبو البراء أسامة بن ياسين المعاني.

(٢)الابتلاءات أساليب الكفرة في محاربة الدعوة في عصر النبوة/ قدم له وراجعه فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، تأليف: حمود بن عبد الله المطر، دار طويق للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص ٨، بتصرف.

(٣) أثر الابتلاءات في صقل الشخصيات ، الشيخ محمد صالح المنجد ، موقع طريق الإسلام.

(٤)الابتلاءات أساليب الكفرة في محاربة الدعوة في عصر النبوة/ قدم له وراجعه فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، تأليف: حمود بن عبد الله المطر، ص ٨،٩.

(٥)الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ج١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الفرق بين الابتلاء والمصيبة ؟

١- قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى :٣٠) .

٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ قَالَ : " عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ " . رواه الترمذي وابن ماجة وصححه الألباني.

لا تعارض بين الآية والحديث المذكورين حتى يُوَفَق بينهما، فكلاهما سيق لمعنى غير المعنى الذي سيق له الآخر، ويتضح ذلك بتفسير كل منهما على حدة.

قال المفسرون في تفسير الآية الكريمة أن ما يحل بكم من مصائب الدنيا فإنما تصابون به عقوبة لكم على ما اجترحتم من السيئات والذنوب والآثام، وما عفا الله عنه في الدنيا، أو أخذ به فإنه لا يعاقب عليه في الآخرة، ولذلك فإن الله تعالى اتصف بالرحمة وتنزه عن الظلم.

وقال ابن عطية في تفسيره : روي عن علي ﷺ أن النبي ﷺ قال: " إن الله تعالى أكرم من أن يُثَنِّيَ على عبده العقوبة إذا أصابته في الدنيا مصيبة بما كسبت يداه " .

وقال الحسن : معنى الآية في الحدود: أي ما أصابكم من حد من حدود الله تعالى فإنما هي بكسب أيديكم، ويعفو الله ﷻ عن كثير، فيستره على العبد حتى لا يحد عليه .

وأما الحديث: فهو حديث صحيح، قال البخاري في صحيحه: باب: أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل.

والابتلاء معناه :الاختبار والامتحان كما قال الله ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ (الأنبياء: ٣) .

فالأنبياء هم أكثر ابتلاء واختباراً، وذلك لعلو منزلتهم، وقوة إيمانهم ورفعة مستواهم.

قال المباركفوري في تحفة الأحوذي : "لأنهم يتلذذون بالابتلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء، ولأنهم لو لم يبتلوا لَتُوُهِّم فيهم الألوهية، ولِيُتَوَّهَنَ (يضعف) على الأمة الصبر على البلية، لأن من كان أشد بلاء، كان أشد تضرعاً والتجاء إلى الله تعالى".

وعلى هذا ؛ فلا تعارض بين الآية والحديث؛ لأن معنى الآية أن من ارتكب ذنباً فعوقب عليه في الدنيا بإقامة الحد عليه أو مصيبة تصيبه، فهذا من كسب يده، أي بسببه هو، ولن يعاقب عليه مرة أخرى في الآخرة، لأنه نال جزاءه في الدنيا ، وأما ما أصاب الأنبياء فهو للابتلاء وزيادة الأجر، ولتأسي المؤمنين بهم[١] .

---

(١) موقع الشبكة الإسلامية.

الفرق بين البلاء والابتلاء [١]

البلاء والابتلاء كلاهما امتحان واختبار، ويكونان بالسراء والضراء، ويقعان شرعاً وقدراً، فالتكاليف الشرعية فعلاً كانت أو تركاً، وكذلك مقادير الخير والشر، كل ذلك مما يمتحن به العبد، وإن كان استعمال الابتلاء في الشر والضر والأمور الشاقة أغلب.

قال العسكري في (الفروق اللغوية) بين الابتلاء والاختبار: الابتلاء لا يكون إلا بتحميل المكاره والمشاق ، والاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب، ألا ترى أنه يقال: اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال: ابتلاه بذلك ولا هو مبتلى بالنعمة.

وقال ابن عاشور في (التحرير والتنوير): "لما كان الاختبار يوجب الضجر والتعب سمي بلاء، كأنه يُخلِق النفس، ثم شاع في اختبار الشر لأنه أكثر إعناتاً للنفس، وأشهر استعماله إذا أطلق أن يكون للشر، فإذا أرادوا به الخير احتاجوا إلى قرينة أو تصريح ، فيطلق غالباً على المصيبة التي تحل بالعبد لأن بها يختبر مقدار الصبر والأناة " .اهـ

وسمي التكليف بلاء من أوجه:

أحدها: أن التكاليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء.

والثاني: أنها اختبارات.

والثالث: أن اختبار الله تعالى للعباد تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا، فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين.

وقد تبين من هذه التعريفات أن البلاء والابتلاء أعم من المصيبة، لأنهما يكونان في الخير والشر، وأما المصيبة فلا تكون إلا في الشر.

الابتلاء سنة كونية [٢]

إن الابتلاء سنة ربانية يبتلي الله ﷻ من يدعي الإيمان ؛ لأن الادعاء سهل، لكن إثبات صحة هذا الادعاء أمر عسير، فادعاء الإيمان ليس أمراً هيناً؛ نظراً لأن ثمرة هذا الادعاء سعادة الدنيا والآخرة، فالذي يكون مؤمناً حقيقياً، فإنه بذلك يضمن الفوز في الدارين ، والسعادة في الحياتين، فهذه الثمرة ليست سهلة حتى يكون الإيمان سهلاً، لذا فإن الله لا يترك الناس عند هذه الدعوى بل لابد من ايتلائهم ، والابتلاء ذكره الله ﷻ في القرآن فلا بد من الإيمان به.

---

(١)موقع الشبكة الإسلامية.، بتصرف.

(٢) كيف تواجه؟ الابتلاء ثلاث وأربعون قاعدة وطريقة لمواجهة أصناف الابتلاء ، تأليف عامر محمد عامر الهلالي ، تقديم فضيلة الشيخ سعد بن سعيد الحجري ، دار بلنسية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص١٥،١٦ . الأذى والابتلاء في حياة المؤمن لفضيلة الشيخ الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني ، مدار الوطن للنشر ، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م ، ص٥ بتصرف . نعمة الابتلاء ، خالد سعود البليهد ، موقع صيد الفوائد .

١- **قال الله** ﷻ : ﴿ الم *أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ *وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت:١-٣) .

٢- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران : ١٤٢) .

٣- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢١٤) .

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي عن هذه الآية : "يخبر تبارك وتعالى أنه لابد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة، كما فعل بمن قبلهم ، فهي سنته الجارية التي لا تتغير ولا تتبدل أن مَن قام بدينه وشرعه لابد أن يبتليه".

٤- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ *الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ *أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٧) .

٥- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد:٣١) **ونبلوا: أي نظهر.**

٦- ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣) .

٧-﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء:٣٥) .

٨- **يقول سعد بن أبي وقاص** ﷺ **قلت يا رسول الله: "أي الناس أشد بلاء؟ قال :الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة"** . رواه البخاري.

٩- **والدنيا لم تصف لأحد ولو نال منها ما عساه أن ينال ، يقول النبي** ﷺ **:"من يرد الله به خيراً يصب منه"**رواه البخاري.

١٠- **وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن اللَّه تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط"** . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الحكمة من الوجود

إن الابتلاء هو الحكمة التي من أجلها خلق الله ﷻ الإنسان في الحياة الدنيا ، والحياة الدنيا بسماواتها وأرضها وأنسها وجنها هي أفضل دار ممكنة لتحقيق الابتلاء للإنس والجن ، وليس ذلك تأويلاً منا أو استنتاجاً من كتاب الله ، ولكن ذلك ما تحدثنا به الآيات المحكمات قال الله ﷻ :

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (هود:٧) .

والإنسان هو الكائن المبتلى الذي من أجله جعلت دار الابتلاء ابتداء قال ﷻ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (الإنسان :١- ٢) . ومن ثم اتفقت غاية وجود السماوات والأرض مع غاية الوجود الإنساني ، فجاءت كيفية الحياة في الأرض بالنسبة للبشر ولبقية الأحياء ، كما جاءت طبائع الأشياء ونواميس العالم محققة لهذه الغاية.

تحقيق سنة الابتلاء

قدر الله سبحانه وتعالى تحقيقاً لسنة الابتلاء أموراً ترجع أساسياتها وعللها إلى مشيئته ﷻ في قيام حقيقة الابتلاء بالإنسان ، وقيام وجوده البشري قال ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام:٥٣) ومن تلك الأمور التي قدرها الله ﷻ:

١- علاقة الإنسان بالزمن المتمثلة في مراحله الوجودية التي يعبر فيها موتين وحياتين ، ووجود الموت والحياة على الأرض ، وما يستتبع ذلك من كيفيات معينة في تركيبها ، وفي ماهية البشر ، وتكوينهم الجسدي ، إنما هو لتحقيق هذه الغاية قال ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (تبارك : ١-٢) .

٢- وجود عالم الغيب وعالم الشهادة بالنسبة للإنسان ، فوجود عالم مُغيب عن الإنسان يعني أنه يحيا تحت غطاء كوني يَحجب عنه ما حوله وما فوقه من عوالم غيبية وكائنات خارجة عن مجال إحساسه ومداركه وقواه ، وهذا الغطاء الكوني هو الذي يحدد ماهية الإنسان أثناء وجوده البشري على الأرض ويفسر قصور أجهزة الإدراك التي يمتلكها ، فهو إن كان مخلوقاً عارفاً ومدركاً ، إلا أن إدراكه العلمي اليقيني قاصر على العالم المحسوس فقط .

فليس من المعقول أن يكون على الأرض ابتلاء ، والإنسان المبتلى يستطيع أن يرى النار وعذابها أو يحسها أو يسمع صراخ المعذبين في القبور، وليس ذلك قاصراً على الإنسان فقط بل إنه يشمل الجان أيضاً باعتباره المخلوق المبتلى مع الإنسان في الأرض .

وبرهان ذلك ما رواه البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : "إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ، وأنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، فيراها جميعاً ، قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح في قبره ، ثم رجع إلى حديث أنس فقال : وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ، فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين " البخاري. الصحيح. كتاب الجنائز باب ٨٩ .

والشاهد في هذا الحديث ، أن كل الكائنات الحية على الأرض تسمع صيحة المعذب ، إلاّ الإنس والجن ، لأنهما المخلوقان المبتليان على الأرض ، أما ما عداهما من الأحياء فليسوا واقعين تحت الابتلاء ، ولم يخلقوا له ، ومن ثم فإنهم يعيشون بغير هذا الغطاء الكوني الذي يمنع عن الثقلين معرفة الأمور الغيبية التي تقع في الأرض ، كصراخ المعذبين في القبور ، وكرؤية الملائكة المحيطة بالإنسان ورؤية الشياطين الملتفة حوله لأنه لو حدث ذلك للإنس والجن لآمنوا جميعاً ، وما كان هذا فضل منهم ولا مبادرة ولا اجتهاد لمجتهد يستحق عليه الثواب، ولما تبين الظالم من المحسن حيث سيكون إيمانهم جميعاً كنتيجة مباشرة لإطلاعهم على هذه الأمور الغيبية.

٣- كذلك لم يكن الله ﷻ ليرسل ملائكة للبشر كمنذرين ومبشرين ومعلمين فأرسل سبحانه إليهم بشراً ، حيث أن الملائكة من عالم الغيب وظهورهم للبشر يتعارض مع حقيقة الغطاء الكوني التي جعلها الله للابتلاء قال الله ﷻ : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ (سورة الأنعام : الآيات ٨ ـ ٩) .

فلكي يتم الابتلاء ، ولكي يختبر الله ﷻ البشر بالرسل ، لابد أن يكون الرسل بشراً مثلهم ، يعرضون عليهم حقائق الغيب والآخرة ، ويطلبون منهم أن يؤمنوا بربهم وبهذه الحقائق ، أما إذا أرسل إليهم ملكاً من السماء ، لانتفى الابتلاء ، واستحال قيامة.

٤- قصور العلم البشري عن إدراك المستقبل من لوازم الابتلاء ، كما يفسر الغطاء الكوني هذا القصور ويعلله قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (طه : ١٥) . ومنها

إخفاء أجل وانتهاء حياة العبد قال الله ﷻ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان:٣٤).

ولكن أجهزة الإدراك البشرية وإن كانت قاصرة عن إدراك عالم الغيب، إلا أنها مُهيأة ومكيفة لإدراك عالم الشهادة ومعرفته معرفة تكاد تكون يقينية، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (سورة الإسراء:٣٦) وقال ﷻ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (الإنسان: آية ٢).

٥- جعل الله ﷻ الجوانب العاطفية والشهوية والميول والأهواء والرغبات، وحب الأموال والقوة والجاه والسلطان، وكل مايجلب السراء والمتع والبهجة جعله للإنسان من جانب، وجعل في الطبيعة من المخلوقات المسخرة لتحقيق هذه المباهج والمتع.

كما جعل الله في طبيعة الإنسان الألم والشقاء والمرض والجوع والحزن والخوف من جانب، وجعل في الجانب الآخر من الحياة في الأرض ومن أحداثها وناموسها ما يسبب له ذلك كله، وذلك للابتلاء.

أما عن طبيعة البشر وماهيتهم التي جعلها الله بهذه الكيفية حيث يؤدي كل ذلك إلى قيام هذه الحقيقة الكبرى فيخبر عنها القرآن بقوله ﷻ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ (آل عمران: ١٤).

٦- كما تفسر لنا حقيقة الابتلاء الحكمة التي من أجلها زودت النفس البشرية بالميل إلى الشر والخير سواء، قال الله ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس: ٧-١٠).

ومن ثم فحياة الإنسان من أولها إلى آخرها تهدف في جزئياتها وكلياتها للابتلاء وتؤدي إليه، قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (البلد: ٥). ولقد كانت مشكلة الشر، هي المشكلة العويصة المستعصية أمام كل نسق فلسفي في أي فكر بشري، وما رأينا نسقاً من هذه الأنساق يقدم لنا الحل المقنع والنهائي مثل النسق القرآني القائم على حقيقة الابتلاء، فوجود الخير والشر في الحياة الدنيا يعترضان سبيل الإنسان، إنما هو بأمر الله وقدره ومشيئته.

ذلك أن وجود الشيطان سواء شيطان الأنس أو الجن ، كداعي للشر في الحياة ، فوق أنه كان كذلك نتيجة فشله في ابتلائه فقد مكنه الله من الوسوسة والإيعاز بالشر للفتنة والابتلاء. ودليل ذلك قول الله ﷻ : ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (الحج : ٥٣).

٧- خلق الله الناس مختلفين آجالاً وأرزاقاً وجاهاً وسلطاناً وجمالاً وذكاء وحكمة وقوة وأبناء، قال الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [الأنعام آية ١٦٥) .

كما شاء الله سبحانه وتعالى أن يعيش الناس في أمم وشعوب وقبائل مختلفة ولم يشأ أن يكون الناس أمة واحدة، بل زودهم بما يجعلهم مختلفين في السلوك كنتيجة مستلزمة من حقيقة الابتلاء ، قال الله ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحجرات : آية ١٣) .

فحسب النظرة القرآنية وتحقيقاً لغاية الحياة البشرية ، أن المجتمع البشري كما يريده الله سبحانه وتعالى لابد أن تتفاوت فيه مستويات الناس في كل شيء ، فهو قائم على درجات بين الناس في الأرزاق والقدرات بأنواعها ، ولكنه لا يقوم على الطبقات حيث الجميع من أصل واحد .

فالقرآن الكريم يثبت حتمية استمرار هذه الفروق واستحالة إلغائها استحالة مُطْلقة؛ لأن إلغاءها بين مستويات الناس إلغاء تاماً ، لا يمكن أن تتحقق على الأرض لأنها دار ابتلاء ، وهي إن تحققت خرجت عن الخط المرسوم لها لتحقيق غايتها ، فلا يتحقق ذلك إلا في دار النعيم ، وأي مذهب يتحدث عن ذلك يحاول أن يثبت إمكانية تحقيقه فهو مذهب مخادع مخاتل ، وفلسفته لا تقوم على أسس حقيقية واقعية من طبائع البشر والحياة.

الطريق إلى الجنة محفوف بالمكاره[1]

الجنة سلعة غالية، ولا بد لها من ثمن، وقد دفعه الأنبياء والذين آمنوا معهم منذ فجر البشرية، فلا بد أن يدفعه المؤمنين من بعدهم ليكونوا أهلاً لدخول الجنة، فلا يكفي الإنسان أن يقولها كلمة باللسان: (آمنت) فيبلغ بهذه الكلمة أن يؤدي تكاليف الإيمان وأن ينتهي إلى الجنة والرضوان!

(١)الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن ، عبدالله ميرغني صالح، موقع الدرر السنية ، موقع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة ، المشرف العام علوي بن عبد القادر السقاف.

إنما هي التجربة الواقعية والامتحان العملي، وإنما هو الجهاد في سبيل الله وملاقاة البلاء والابتلاء، ثم الصبر على تكاليف الجهاد ومعاناة البلاء، ثم الصبر على تكاليف الدعوة إلى الله تعالى،التكاليف المستمرة المتنوعة التي لا تقف عند الجهاد في الميدان، كالصبر على معاناة الاستقامة على أفق الإيمان، والاستقرار على مقتضياته في الشعور والسلوك، والصبر على طول الطريق وبعد الشقة وكثرة العقبات، والصبر على أشياء كثيرة في الطريق المحفوف بالمكاره، طريق الجنة التي لا تنال بكلمات اللسان ولا بالأماني التي لا تثبت عند البلاء والمحن والشدائد.

أنواع الابتلاء [١]

أنواع الابتلاء كثيرة، وهي تختلف بحسب الأشخاص والأزمان والبلدان ، ويمكن تقسيمها لاعتبارات شتى :

أ- باعتبار دواعيه: فابتلاء للصبر، وابتلاء للشكر، وابتلاء للأجر، وابتلاء للتوجيه، وابتلاء للتأديب.

ب- باعتبار موضوعه: فقد يكون الابتلاء في الدين ، وقد يكون في أمور الدنيا ، وقد يكون بالسراء والضراء.

ت- باعتبار أفراده: ويدخل فيه النوعان السابقان.

من أبرز هذه الأنواع والصور :

١- التخويف : وهو الصورة الأولية للابتلاء والفتنة، وقد وقع لنبي الله موسى عليه السلام؛ قال الله عز وجل: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ (القصص : ٢١)، ووقع لنبي الله يوسف عليه السلام لما ألقي في البئر، ووقع لنبي الله يونس عليه السلام لما التقمه الحوت ، ووقع لنبينا محمد ﷺ في هجرته ، وفي غزوة بدر ، وفي غزوة الأحزاب ومواضع كثيرة.

٢- السجن : وقد ابتلي به جمعاً غفيراً من أتباع الرسل ، مثل أحمد بن حنبل ، وابن تيمية ، ناهيك أن يكون مع السجن تعذيب بدني بالضرب أو الإيذاء.

٣- التعذيب والابتلاء: ومنهما لقي النبي ﷺ وصحابته الكرام الشيء الكبير، ومن صور ذلك قصة وضع سلا الجزور بين كتفيه عليه الصلاة والسلام، وأما المستضعفون فقد حكى لنا ابن مسعود رضي الله عنه ماجرى لهم وأن المشركين أخذوهم وألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس.

٤- النفي والتشريد: وقد هددت الأمم السابقة رسلهم بهذا النوع من الابتلاء وقد لقي النبي ﷺ حظاً وافراً من النفي والتشريد والطرد عندما أخرجه أهل الطائف.

---

(١) الابتلاء وعوامل الثبات ، إعداد مكتب الدراسات والتحقيق بدار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، بتصرف ص٧- ٣٢.

٥- القتل: وقع القتل لجمع من الأمم السابقة ومن سلف الأمة الصالح ؛ فقد قتل من أنبياء الله زكريا، ويحيى ، وقَتل أصحاب الرس رسولهم ، وما أن دخل السحرة في دين موسى وهارون إلا وأعمل فيهم فرعون قتلاً وصلباً.

٦- التضييق في الرزق: وهو أسلوب خبيث يسلكه أعداء الله لابتلاء المصلحين لإعاقة عملهم وتشتيت جهودهم ، قال الله ﷻ : ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون : ٧) .

٧- فتنة الأهل والولد: وهي نوعان الافتتان بهم بأن يكون حبه وحرصه عليهم صاداً له عن سبيل الله ، والافتتان فيهم بنيلهم الأذى والتعذيب وهتك العرض أمام مرأى ولي أمرهم مغلوباً على أمره لا يستطيع فعل شيء.

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : "مالعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة ". رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب العمل الذي يبتغي به وجه الله ،ح(٦٤٢٤).

٨- الابتلاء بالمال حصولاً وذهاباً ، أي بالفقر والغنى .

٩- الابتلاء بالسراء: إن الابتلاء بالنعمة في حاجة ملحة إلى يقظة دائمة تعصم من الفتنة، فنعمة المال والقوة تقود إلى فتنة البطر وقلة الشكر مع السرف والتطاول بالقوة .

إن الصبر على الرخاء أشق من الصبر على الشدة ؛ لأن الشدة تستنفر قوى الإنسان وطاقاته، وتثير فيه الشعور القوي بالتحديات التي تواجهه، وتشعره بالفقر إلى الله ووجوب التضرع فيهبه الله الصبر، أما السراء فإن الأعصاب تكون معها مسترخية في الغالب ، والنفس موافقة وهي تخاطب بعض الغرائز الفطرية من حب الشهوات والنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة فيسترسل الإنسان معها دون أن يشعر بأن هذا ينافي الصبر أو يدرك أنه واقع في الفتنة، والله سمى السراء والنعماء ابتلاء قال الله ﷻ : ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (الفجر: ١٥) .

١٠- التشويه الإعلامي : وهو أسلوب سلكه الأقدمون في حربهم مع الأنبياء حين عجزوا عن مواجهة الحجة بالحجة ، وقد ابتلى الله الأنبياء وأتباعهم به ومن أمثلة ذلك :

أ- اتهامهم بأنهم يسعون إلى الحكم والسلطة : قال ﷻ: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ (المؤمنون :٢٤) .

ب- اتهامهم بالإفساد في الأرض والتخريب قال الله ﷻ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر:٢٦).

ت- اتهامهم بالجنون وقلة العقل، وأحياناً بالسحر والكهانة، وكثيراً الاتهام بالكذب كما نال النبي ﷺ، ومن أمثلة التشويه الإعلامي في الوقت الحاضر:

أ- إلصاق التهم بالمصلحين فيما يتعلق بالجرائم التي تحصل في المجتمع.

ب- إطلاق الألقاب المنفرة على الدعوة الإصلاحية مثل: التخلف، الرجعية، التشدد، التزمت.

١١- تسلط أهل الباطل وتمكنهم.

١٢- إعراض الناس وقلة النصير وخذلان أهل الحق.

١٣- الافتراق والاختلاف الذي ماابتليت الأمة بشر منه باختلاف دعاتها وعلمائها الاختلاف الذي يؤدي إلى ضياع الجهود والانشغال عن مواجهة العدو الحقيقي، وعلاوة على ذلك مدعاة لسخرية أهل الباطل وتندرهم.

١٤- فتن آخر الزمان: وهي بلاء عام ينزل على كل الناس، فمنهم من يثبت، ومنهم من يزل، وقد حذرنا منها ومن خطرها رسول الله ﷺ بقوله: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا". رواه مسلم: كتاب الإيمان (١٣٣/٢) بشرح النووي،ح(١١٨).

الناس حين نزول البلاء ثلاثة أقسام [١]:

الأول: محروم من الخير يقابل البلاء بالتسخط وسوء الظن بالله واتهام القدر.

الثاني: مُوَفَّق يقابل البلاء بالصبر وحسن الظن بالله.

الثالث: راض يقابل البلاء بالرضا والشكر وهو أمر زائد على الصبر.

أعظم الأسباب في دفع البلاء [٢]:

إن لدفع البلاء أسباب عديدة من أهمها سببين:

١- تقوى الله والاعتصام به: إن أعظم الأسباب، وأهمها، وأساس النجاة من شرور الدنيا والآخرة هي تقوى الله والاعتصام به اعتصاماً صادقاً، واللجوء إليه والتوجه إليه توجهاً كاملاً، قصداً،

---

(١) نعمة الابتلاء، خالد سعود البليهد، موقع صيد الفوائد.

(٢) كيف تواجه؟ الابتلاء ثلاث وأربعون قاعدة وطريقة لمواجهة أصناف الابتلاء، تأليف عامر محمد عامر الهلالي، تقديم فضيلة الشيخ سعد بن سعيد الحجري، ص١٧٠،١٦٩ بتصرف. الابتلاءات أساليب الكفرة في محاربة الدعوة في عصر النبوة/ قدم له وراجعه فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبريين، تأليف: حمود بن عبد الله المطر، ص١٤،١٥، بتصرف.

وحباً،وخوفاً، ورجاءاً، وتوكلاً، وإنابة، والانقياد لله ورسوله ﷺ والحرص على ذلك، واستفراغ الجهد فيما يحبه الله ورسوله فهو مدار السعادة وآية الفلاح وطريق النجاة.

إن تقوى الله والاعتصام به حفظ للمرء ، وصيانة للنفس، وحماية للدين، وأمن من المخاوف، وضمان من المخاطر، ونجاة من المهالك، ونصرة على الأعداء، وحرز من الألداء ، وهو الحصن الحصين، والسد المنيع ، وهو أصل السلامة في الدنيا والآخرة، وطريق النجاة، والأمن ، والعز، والنصر.

- قال الله ﷻ:﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج : ٧٨) .
- وقال ﷻ:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾(النساء: ١٧٥) .
- قال العلامة ابن القيم رحمه الله : "بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة ، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة ، فالله سبحانه علّق سعادة الدّارين بمتابعته ، وجعل شقاوة الدّارين في مخالفته ، فلأتباعه الهدى والأمن ، والفلاح والعزة ، والكفاية والنصرة ، والولاية والتأييد ، وطيب العيش في الدنيا والآخرة ، ولمخالفيه الذّلة والصّغار والخوف والضلال ، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة" .

٢- دفع البلاء بالدعاء:

الدعاء أنجح علاج لدفع البلاء وهو سلاح المؤمن لدفعه، وممن استعمل هذا السلاح الأنبياء ومنهم أيوب ويونس عليهما الصلاة والسلام ، قال ﷻ:

- ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ *فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾(الأنبياء: ٨٣-٨٤) .
- ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ *فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنبياء:٨٧) .

قال ابن القيم رحمه الله : " الدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن ، كما روى الحاكم في مستدركه من حديث علي بن أبي طالب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والأرض "

مستدرك الحاكم، ج١ ص٤٩٢، قال الحاكم : هذا حديث صحيح فإن محمد بن الحسن هذا هو التل وهو صدوق في الكوفيين، وقال الذهبي:صحيح.

وله مع البلاء ثلاثة مقامات :

أحدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني : أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد ولكن قد يخففه ، وإن كان ضعيفاً.

الثالث : أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه ، وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ " لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة " . :مستدرك الحاكم، ج١ ص٤٩٢،صحيح الجامع (٢٤١/٦) قال الألباني : حسن.

اختلاف الابتلاءات بين العباد وتنزه الله عن الظلم [١]

لماذا يبتلي الله عباده بابتلاءات مختلفة؟

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن معنى حديث أبي ذر ، عن رسول الله ﷺ ، فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا..."

فقال: "أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه مثل: أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها، ويعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات، ويعاقب هذا بذنب غيره، أو يحكم بين الناس بغير القسط، ونحو ذلك من الأفعال التي ينزه الرب عنها لقسطه وعدله وهو قادر عليها، وإنما استحق الحمد والثناء؛ لأنه ترك هذا الظلم وهو قادر عليه. وكما أن الله منزه عن صفات النقص والعيب فهو أيضًا منزه عن أفعال النقص والعيب." ا.هـ.

والخلاصة : أن الظلم الذي يجب نفيه عن الله تعالى هو الظلم المتعلق بالجزاء، فالله تعالى لا يجزي العبد إلا بعمله، ولا يعذبه إلا بذنبه، ولا يضيع أجر المحسنين من الصابرين والشاكرين.

وأما الظلم هنا في الدنيا فلا يتحقق إلا بوضع الشيء في غير موضعه، وهذا لا يكون في حكم الله أبداً، ولكننا لقصور علمنا ونقص معرفتنا لا ندرك كثيراً من مواضع الحكمة، وليس عندنا ما يؤهلنا لقدر كل شيء قدره، ووضع كل شيء موضعه ، وأما الله تعالى فله الحجة البالغة والحكمة التامة، وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير.

ولنضرب على ذلك مثالاً لمجرد التقريب، مع الاعتراف بالفارق الهائل بين المسألتين، فالطلبة في الدراسات المدنية والاجتماعية المختلفة، تنوَّعت توجهاتهم الدراسية بحسب تفاوت مؤهلاتهم العلمية أوالعقلية أوالنفسية وغير ذلك، فكلٌّ يتوجه إلى ما يناسبه ، حتى إنك تجد في الكلية الواحدة تخصصات مختلفة.

فهل يعقل أن توحد امتحانات جميع الطلاب في المرحلة النهائية التي ينبني عليها نوع العمل والوظيفة، باعتبار أن ذلك هو الذي يترتب عليه تحديد رواتبهم ومكانتهم الاجتماعية، أم أن

---

(١) موقع إسلام ويب ، مركز الفتوى ، رقم الفتوى ١٣٧٦٣١ ،، بتصرف.

الحكمة قاضية بأن يكون امتحان كل شخص بحسب مؤهلاته، ثم بحسب طبيعة ما سيناط به من أعمال، ثم بحسب المكانة التي سيتبوؤها؟

فكذلك في امتحان الآخرة، يبتلي الله تعالى كل عبد بما يناسب الحكمة كماً وكيفاً، لأنه تعالى هو الذي يعلم مؤهلاته وصفاته الظاهرة والباطنة، وما يناسبها من تحديد المصير والعاقبة.

ومما يقرب ذلك قول النبي ﷺ:" إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها" . رواه أبو يعلى وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني.

فهذا الابتلاء وإن كان موافقاً للحكمة التي يعلمها الله، فإنه بالنسبة لنا غير معلوم الحكمة لو لم يذكرها لنا رسول الله ﷺ وعدم علمنا لا يطعن في ذات الحكمة.

ومن وجه آخر، فإنه يمكن للناظر في تفاوت أنواع ودرجات الامتحان، أن يدرك من طرف خفي أن أصول البلاء تجتمع تقريباً في حق كل أحد، بحيث تُستخرَج منه عبادتي الشكر والصبر معاً، على تفاوت بينهما.

فإنك لا يمكن أن تجد أحداً في عافية تامة من كل شر ومحنة، أو أحداً قد أُعطي كل أنواع النعم مجتمعة، بل التفاوت والتقابل هو السمة الظاهرة، فتجد رجلاً فقيراً عنده من الصحة وقوة البدن ما يوازي ما عند الغني المريض. وتجد من ولِد يتيماً عنده من المؤهلات العقلية وغير ذلك ما يسبق به ذا الوالد من أقرانه.

ابتلاء الأطفال بالمكاره والآلام[1]

و قد يرد سؤال عن الحكمة من ابتلاء غير المكلفـــين من الأ ـفال بالأمراض والمظالم، والحكمة من ابتلائهم بالفقر والحرق والغرق وغير ذلك من الآلام المتنوعة والمكاره المتعددة؟

والواقع إن ما يصيب الناس عموماً، وما يصيب الأطفال خصوصاً من الآلام والمكاره يتضمن الكثير من الفوائد والحكم، والتي يمكن إدراكها والوقوف عليها من خلال نصوص الوحي، ففيها للمتأمل الإجابة الكافية الوافية.

وهذه المسألة من المسائل التي يثيرها الملاحدة؛ لصد الناس عن الإسلام، أو لتشكيك المسلمين في دينهم، وجوابها باختصار:

١- يجب أن نعتقد أنَّ جميع ما يقع في هذا الكون من خير وشر هو ابتلاء مقدر مكتوب ، وأنه يقع وفق حكمة إلهية منزهة عن العبث كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الدخان: ٣٨ – ٣٩) . والله تعالى هو الحكيم، الموصوف

(١) موقع الإسلام اليوم ، بحوث ودراسات ، د. علي بن سعيد العبيدي، بتصرف.

بالحكمة البالغة في خلقه وشرعه ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (التحريم:٢) ، الذي يضع الأشياء في مواضعها لغايات محمودة منه تعالى ، وهذه الحكمة قد ندركها ونقف على أسرارها في وقتنا الحاضر، وقد نجهلها وتخفى علينا ليعرفها من يأتي بعدنا .

٢- علينا أن نعتقد أن الله تعالى منزه عن الظلم وأن أفعاله كلها خير لا شر فيها، وما قد يراه الناس شراً فهو شر نسبي، بمعنى أنه يتضمن خيراً قد يخفى على البعض حتى على المبتلى به ، وبعد هذا يمكن القول : إن في البلاء النازل بالأطفال منافع ذاتية لهم، ومنافع متعدية لوالديه ولغيرهم ممن يشهدون البلاء، فمثلاً:

الظلم الذي يقع على الطفل ويكون أشده بإزهاق روحه ظاهره أنه شر محض، لكن الواقع خلاف ذلك تماماً، ففي حصول هذه المظلمة - رغم قسوتها - منفعة ذاتية للطفل من حيث إنه سيكون يوم القيامة من الناجين من النار؛ لأن الله تعالى قد قضى أن الأطفال في الجنة، سواء أكانوا من أطفال المسلمين أم من أطفال المشركين على الصحيح.

وأما المنافع المتعدية للوالدين فكثيرة منها:

١. تكفير سيئاتهم التي قد يطالهم بسببها العذاب المتوعد عليها في الآخرة.
٢. رفع درجاتهم - وكذا الأولاد المبتلين- إن لم يكن لهم ذنوب يستحقون بسببها العذاب .
٣. أن الله يجعل موت الأطفال حجاباً لوالديهم من النار مع الصبر والاحتساب.
٤. أنها تفتح للمسلم أبواباً كثيرة من الأعمال الصالحة التي يحبها الله تعالى من عباده مما يكون سببا في زيادة حسناتهم، وحط سيئاتهم، ورفع درجاتهم.
٥. من المنافع والحكم لفت أنظار الناس إلى بعض سنن الله في كونه فيما يتعلق بانتقال الأمراض الوراثية، وماقد يترتب عليها من أضرار خلقية تلحق بالأطفال من جراء زواج الأقارب؛ فيأخذوا بأسباب الوقاية التي هي من تمام التوكل الذي يحبه الله تعالى.
٦. لفت أنظار الناس إلى خطورة الوقوع في ارتكاب المحرمات ، كالفواحش الجنسية، وتعاطي المخدرات، وشرب المفترات كالدخان؛ لأنها قد تكون سبباً مباشراً في حصول التشوهات الخلقية لدى الأطفال، وكم في هذا من إظهار لحكم الشريعة التي اختارها الله تعالى لعباده ورضيها لهم.

آثار الابتلاء في حياة المسلم [١]

إن من أقوى عوامل الثبات عند الابتلاء أن يكون المبتلى على علم بآثار الابتلاء وثمار ه وفوائده ، فالابتلاءات والمحن والشدائد له آثاراً في صقل الشخصية المؤمنة لا تتأتى إلا لمن صبر عند البلاء، ونحن لا نسأل الله أن يبتلينا، أو أن يوقع بنا الشدائد، وإنما نسأله العافية في الدنيا والآخرة ،ولكن إذا نزلت الشدائد فلها في طياتها خير كثير، وفوائد جمة فمنها :

١- تحقيق العبودية لرب العالمين : إن أشرف المقامات مقام العبودية لله رب العالمين ، فهو يزيد الإيمان ، ويزيد العبد عزة وقوة وصلابة ، لأنه يعلم إنما يلجأ إلى العزيز العليم .

ثم إن نزول البلاء بالمؤمن بعدما كان مطمئناً سعيداً معافى يورث في قلبه تعظيم الله ﷻ ومعرفة قدره وقهره وحكمته وعدله ، وأنه يغير من حال إلى حال ، والذي أنزل البلاء يرفعه بحوله وقوته .

قال الشيخ صالح المغامسي حفظه الله مخاطباً كل مبتلى أيّاً كان نوع ابتلاءه :" لايقدر على رفع بلواك إلا الله متى تحرر عندك في قلبك يقيناً أنه لايرفع البلوى إلا الله فاعتبر أن البلوى رُفعت ، فإن وافاك الأجل قبل أن تُرفع فاعلم أن الله جل وعلا لن يضيِّعك وسترى أثر صبرك في حياة البرزخ وفي حياة الآخرة ، لكن ثق تماماً أن الله ﷻ قادر على أن يكشف الضر والبلوى قال ﷻ : ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة : ٢٥٩) . علمك أن الله على كل شيء قدير هو ماابتلاك الله به فإن وقر في قلبك وجرى على لسانك أن الله على كل شيء قدير فلم يبقى عن رفع بلواك إلا لحظات "ا.هـ.

٢- الإنابة والرجوع إلى الله وتصحيح المسار : إن القلب في أوقات الشدة والأزمات يكون أقرب إلى الله ، منيباً خاضعاً ، والابتلاء يذكر بالله ، ويعدل الخطأ ويلقن الإنسان دروساً لاينساها .

٣- محو الذنوب ورفع الدرجات وتمحيص القلوب : وحسبك من هذه الثمرة ، أنها وحدها لمن دواعي الصبر عند الابتلاء؛ لما يعلمه المسلم من الأدلة المتوافرة على أن الابتلاء يكفر السيئات ويرفع الدرجات منها قول رسول الله ﷺ: " مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى

---

(١)الابتلاء وعوامل الثبات ، إعداد مكتب الدراسات والتحقيق بدار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ. أثر الابتلاءات في صقل الشخصيات ، الشيخ محمد صالح المنجد ، موقع طريق الإسلام ، بتصرف.

، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه" رواه البخاري، كتاب المرضى،ح(٥٦٤٢)واللفظ له، ومسلم،كتاب البر والصلة، ح (٢٥٧٣).

٤- معرفة قدر نعمة العافية والتوجه لشكرها : فإنه لايعرف قدر النعمة ألا من يفقدها ، فإذا عرف قدرها شكر الله عليها حق الشكر عند حصولها، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم:٧).

٥- تذكر أحوال المبتلين من المسلمين والدعاء لهم ومساعدتهم : فقد يكون بلاؤهم أشد؛ فمنهم من يقتل ، ومنهم من يجوع ، ومن من يعرى، فإذا نزل بالمسلم بلاء تذكر أمثاله في ذلك البلاء واكتوى بالنار التي صلوا بها ، والنتيجة الدعاء لهم .

٦- في الابتلاء تربية على التوكل وتحقيق ذلك في النفس وترسيخ له ، فكيف صقلت شخصيات الصحابة بالابتلاء في غزوة أحد؟؛ فبعد الهزيمة والقتل والجراحات التي حصلت لهم قال لهم الناس : ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ أي: إن الكفار قد جمعوا لكم -فَاخْشَوْهُمْ -فماذا حصل- ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣) .

٧- ومن فوائد الابتلاءات في صقل الشخصيات ومؤداه ونتيجته إعداد الرجال: فلقد اختار الله لنبيه ﷺ أنواعاً من الشدائد منذ صغره ، فعركته الشدائد عركاً، فكان يتيما مات أبوه أولاً، ثم ماتت أمه، فنشأ يتيماً ؛ لترق نفسه وفقيراً ليرحم المساكين.

ثم ابتلاه الله بعد ذلك بذهاب العضد والسند والنصير والمعين والمدافع - بعد الله- فماتت خديجة - رضي الله عنها- ، ثم مات أبو طالب عمه ؛ ليكمل اعتماده على الله، فكان عليه الصلاة والسلام معداً منذ صغره ونشأته في اليتم والفقر. وكل ذلك تمهيداً وإعدادا له للمرحلة المقبلة.

٨- الابتلاء يربي النفس على الصبر ويصقلها؛ لكي تكون نفساً صابرة ، وهذا من أهم الأخلاق التي ترزق بها النفس عند الابتلاء.

والله ﷻجعل الصبر جواداً لا يكبوا، وصارماً لا ينبو، وجنداً لا يهزم، وحصناً حصيناً لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان، فإن ا لنصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر.

٩- ومن آثار الابتلاء أنه يحدث في النفس تنمية اللجوء إلى الله وحده والافتقار إليه ؛ كما أخبر الله عن يعقوب:﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (يوسف: ٨٦) .

١٠- تربية الإنسان على الإيمان بالقضاء والقدر فعندما يبتلى الإنسان يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإذا أصيب بشيء عزى نفسه بمصيبة عظيمة جداً وهي

موت خير من مشى على المعمورة- عليه الصلاة والسلام- ولذلك قال :"إذا أصاب أحدكم مصيبة فليتذكر مصيبته بي، فإنها من أعظم المصائب".

١١- ومن فوائد الابتلاءات في صقل الشخصيات أنها تدرب النفوس على رفض المغريات، فهذا كعب بن مالك ﷺ لما قوطع وأمر النبي ﷺ المسلمين بعدم الكلام معه، فاشتد الأمر عليه، ومرت عشرات الليالي ولا أحداً يكلمه ؛ حتى ابن عمه ومن أقرب الناس إليه لا يكلمه ولا يسلم عليه!!

ومع هذا كله تأتيه رسالة من ملك غسان وفيها: الحق بنا نواسيك ، و لم يجعلك الله في أرض هوان ولا مضيعة ومع هذه المغريات، هل استجاب لها ؟!

هذا الابتلاء كان له أثر في صقل شخصيته وتربيتها على رفض المغريات، فإنه قال : "فتيممت بها التنور فسجرتها، وأحرقتها".

١٢- تمحيص القلوب : قال الله ﷻ: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران:١٥٤) .أي يختبر ما فيها من نفاق وإيمان وضعف إيمان [١].

١٣- الابتلاء إعداد المؤمنين للتمكين في الأرض: فالشخصيات التي تستحق النصر والتمكين لا بد أن تبتلى، فقد سئل الشافعي رحمه الله :"أيهما أفضل أن يمكن للإنسان أم يبتلى؟ قال: لا يمكن حتى يبتلى".

١٤- الابتلاء يخرج العجب من النفوس ويجعل النفوس قريبة من الله: فإن النفس فيها تية وكبر، وخيلاء وعجب وغرور وغفلة فيبتلي الله هذه النفس، ويخرج ما فيها من العجب والخيلاء والغرور.

كيف تواجه الابتلاء[٢]

(١) أن تتيقن أن هذا من عند الله فتسلم الأمر له.

(٢) أن تلتزم الشرع ولا تخالف أمر الله فلا تسخط ولا تسب الدهر.

(٣) أن تتعاطى الأسباب النافعة لد فع البلاء.

(٤) أن تستغفر الله وتتوب إليه مما أحدثت من الذنوب.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.

(٢)خالد سعود البليهد ، موقع صيد الفوائد ، بتصرف.

الخاتمة

إن الابتلاء مرتبط بحياة الإنسان فما دامت هناك حياة فهناك حتماً ابتلاء، وأن الإنسان بتفكيره القاصر لايعلم فوائده التي تعود عليه في دينه ودنياه وآخرته، ومدى حكمة الله في اختياره له .

قال ابن القيم رحمه الله :

"إنَّ ابتلاء المؤمن كالدواء له، يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه لأهلكته أو نقصت ثوابه وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء، ويستعد به إلى تمام الأجر وعلو المنزلة ".

والله وحده المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أزكى صلاة وتسليم .

المراجع

١. الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كماجاء في القرآن ، عبدالله ميرغني صالح، موقع الدرر السنية ، موقع علمي موثق على منهج أهل السنة والجماعة ، المشرف العام علوي بن عبد القادر السقاف.
٢. الابتلاء وعوامل الثبات ، إعداد مكتب الدراسات والتحقيق بدار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
٣. الابتلاءات أساليب الكفرة في محاربة الدعوة في عصر النبوة/ قدم له وراجعه فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبريين، تأليف: حمود بن عبد الله المطر، دار طويق للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
٤. أثر الابتلاءات في صقل الشخصيات ، الشيخ محمد صالح المنجد ، موقع طريق الإسلام.
٥. الأذى والابتلاء في حياة المؤمن لفضيلة الشيخ الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني ، مدار الوطن للنشر ، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.
٧. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ج١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٨. كيف تواجه؟ الابتلاء ثلاث وأربعون قاعدة وطريقة لمواجهة أصناف الابتلاء ، تأليف عامر محمد عامر الهلالي ، تقديم فضيلة الشيخ سعد بن سعيد الحجري ، دار بلنسية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٨/٢٠٠٧م.
٩. كيف تواجه؟ الابتلاء ثلاث وأربعون قاعدة وطريقة لمواجهة أصناف الابتلاء ، تأليف عامر محمد عامر الهلالي ، تقديم فضيلة الشيخ سعد بن سعيد الحجري ، دار بلنسية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
١٠. موقع الإسلام اليوم ، بحوث ودراسات ، د. علي بن سعيد العبيدي.
١١. موقع الرقية الشرعية على منهج أهل السنة والجماعة تحت إشراف أبو البراء أسامة بن ياسين المعاني.
١٢. موقع الشبكة الإسلامية.
١٣. نعمة الابتلاء ، خالد سعود البليهد ، موقع صيد الفوائد .

المحتويات

الموضوع	الصفحة
١- المقدمة	١
٢- تعريف الابتلاء	٢
٣- تعريف الفتنة	٢
٤- تعريف المصيبة	٢
٥- الفرق بين الابتلاء والمصيبة	٣
٦- الفرق بين البلاء والابتلاء	٤
٧- الابتلاء سنة كونية	٤
٨- الحكمة من الوجود	٦
٩- تحقيق سنة الابتلاء	٦
١٠- الطريق إلى الجنة محفوف بالمكاره	٩
١١- أنواع الابتلاء	١٠
١٢- الناس حين نزول البلاء	١٢
١٣- أعظم الأسباب في دفع البلاء	١٢
١٤- اختلاف الابتلاءات بين العباد وتنزه الله عن الظلم	١٤
١٥- ابتلاء الأطفال بالمكاره والآلام	١٥
١٦- آثار الابتلاء في حياة المسلم	١٧
١٧- كيف تواجه الابتلاء	١٩
١٨- الخاتمة	٢٠
١٩- المراجع	٢١
٢٠- المحتويات	٢٢